

كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعي، في افتتاح أيام البحث العلميّ في جامعة القديس يوسف، في مدرّج فرانسوا باسيل، يومي 23 و 24 حزيران (يونيو) 2023، (كلمة ألقاها في 23 حزيران (يونيو) 2023).

حضرة البروفسور بيار عنحوري، ممثّل معالي وزير الصحة العامّة،

حضرة السيّدة سابين سيورتينو Sabine Sciortino، المستشارة الثقافية والعلميّة ومديرة المعهد الفرنسيّ،

حضرة البروفسورة تمارا الزين، الأمانة العامّة للمجلس الوطنيّ للبحوث العلميّة CNRS-ل،

حضرة السيّد جان نويل باليو Jean Noël Baléo، مدير الوكالة الجامعيّة للفرنكوفونيّة AUF،

حضرة البروفسور زاهر داوي، رئيس مجلس الجامعة الأميركيّة في بيروت،

حضرة البروفسور دومينيك دومون بلوتو Pr Dominique Dumon Pluteau، مدير عمليّات الوكالة

الوطنية للأبحاث ANR،

حضرة السيّد بونوا ميريبيل Benoît Miribel، الأمين العامّ لمؤسسة الصحة المستدامة للجميع،

حضرة البروفسورة دولا سركيس، نائب رئيس الجامعة لشؤون البحث العلميّ،

حضرات السادة نواب رئيس الجامعة، والعمداء والمدراء،

حضرات المعلمين الأعزاء، أعرّائي جميعاً،

ننطلق في هذين اليوميّن في مغامرة تقديم الأعمال البحثيّة التي تمّ إنجازها أو هي في طور التنفيذ في جامعتنا. شكراً لنائب رئيس الجامعة البروفسورة دولا سركيس وكذلك للفريق الذي أعدّ التفاصيل المختلفة لهذا الكمّ الهائل من البحث العلميّ الذي أودّ أن أراه مفيداً ومثمراً لنا جميعاً. مسبقاً، أودّ أن أشكر جميع الباحثين الذين سيقدمون مساهماتهم في أعمالهم التي نالت التقدير وفقاً للموضوعات المختارة لهذه الأيام البحثيّة. شكر أساسيّ للسفارة الفرنسيّة في شخص السيّدة سيورتينو Sciortino والوكالة الجامعيّة للفرنكوفونيّة AUF في شخص السيّد باليو Baléo على كلّ الدعم الذي قدّمه للبحث والباحثين في جامعة القديس يوسف.

أصدقائي الأعزّاء،

في الوقت الحاضر، كيف لنا ألا نتطرّق في الحديث عن الذكاء الاصطناعيّ؟ ها هنا عنصر دخيل أقحم نفسه بقوة للانضمام إلى الدائرة العلميّة. علاوة على ذلك، ستتناول المؤتمرات، منذ اليوم، هذا الموضوع المهمّ جدًّا بالنسبة إلى المعلّم والباحث. في الواقع، قدّم تطوير تقنيّات الذكاء الاصطناعيّ (AI) أدوات إضافيّة لاستخراج معلومات من البيانات المتاحة والمتوفّرة بشكلٍ متزايد. يعتمد انطلاق الذكاء الاصطناعيّ الحديث، ولا سيّما التعلّم الآليّ، - أنتم تعلمون أفضل منّي - على توافر كمّيّات كبيرة من البيانات، المرتبطة بنماذج وخوارزميّات أكثر تعقيدًا، بمساعدة بتطوير هياكل الحوسبة وبيئات البرامج المتخصّصة و تقنيّات التواصل الجديدة.

من هنا، لا يمكن اعتبار الذكاء الاصطناعيّ عدوًّا للباحث. إنّه ميسّر للباحث ومرتبّط به. لا يمكن إنكار أنّ الذكاء الاصطناعيّ أصبح مجالًا بحثيًا متعدّد التخصصات وهو في تحوّل كامل نظريّ، ومنهجيّ وخوارزميّ، وهو يثير العديد من القضايا العلميّة، والأخلاقيّة، والمعرفيّة، والبيئيّة والمجتمعيّة. في الوقت نفسه، يجب أن تخرق طرق الذكاء الاصطناعيّ، وخاصّة التعلّم الآليّ، جميع الحقول العلميّة في مراكز الأبحاث في الجامعة، إذا لم يتمّ ذلك بعد. فهو يمكنه تسريع الاكتشافات العلميّة وتحويل الممارسات والطرق التي يتمّ بها إنتاج المعرفة.

في ديناميكيّة الرابط المتطوّر هذا بين الباحث والذكاء الاصطناعيّ، يتمّ طرح أسئلة منهجيّة أساسيّة على الباحث، مثل قابليّة التفسير، ومتانة النتائج. وكذلك الأمر، فقد أصبح من الضروريّ والشرعيّ أن نفهم أكثر فأكثر وبشكلٍ أفضل القضايا الأخلاقيّة والمعرفيّة التي يثيرها استخدام الذكاء الاصطناعيّ في العلم والمجتمع، فضلًا عن جوانبه المحتملة وشروط استخدامه في سياقات مختلفة.

خلال المؤتمر الكبير هذا حيث سشُتخّص المعلومات، سيتعيّن علينا الاهتمام بمكانة الرعاية السريريّة والعلاجيّة من أجل "صحة واحدة للجميع"، وفقًا لمصطلحات الأمم المتّحدة ومنظمة الصحة العالميّة التي بلورت، كما تعلمون، برنامج يُسمّى "One Health" ("صحة واحدة") الذي يحدّد إتجاهات جديدة في الصحة العامّة. تمّ تعريف هذه المبادرة على أنّها حركة "... تعزّز نهجًا متكاملًا، ومنهجيًا، وموحّدًا للصحة العامّة، والنباتيّة، والحيوانيّة، والبيئيّة على المستويات المحليّة، والوطنية والعالمية ...". كيف نتحدّث عن هذا المشروع

الخاصّ بصحة واحدة للجميع في لبنان اليوم باستمرار ؟ هل صحيح أنّ موضوعاً كهذا قد يثير اهتمام البحث العلميّ في لبنان، والذي أصبح مكاناً يمكن أن تنتشر فيه عوامل مسببات الأمراض فتتزوج وتنتج عوامل جديدة أكثر ضرراً وعدوى ؟ كيف يمكن أن يساعدنا الذكاء الاصطناعيّ في هذا المجال؟ بالطبع أنا أتحدّث عن عوامل مسببات الأمراض المعدية التي تهاجم صحّة الناس وليس عن عوامل مسببات الأمراض السياسيّة !

بصراحة، حتّى لو كان موضوع الصحة الواحدة، بالمعنى المعطى لها من منظمة الأمم المتّحدة، مهمّ جدّاً لمعالجته، فأنا لا أشعر أنّي قادر على المغامرة فيه. أودّ أن أقول إنّهُ يتمّ تشجيع الحكومات، وكذلك المنظّمات التي تتعامل مع الصحة، على القيام بوصفة محلّيّة، كنطاق جيّد لتطوير المشاريع الملموسة. يجب أن يتعامل هذا البرنامج مع ظهور مقاومة الكائنات الحيّة المجهريّة للمضادّات الحيويّة، وفقدان الإنتاج الحيوانيّ وحتّى الحيوانات نفسها، والأمراض والآفات الزراعيّة، والتلقيح، وإزالة الغابات وتأثيرات الأنشطة الإنسانيّة على البيئة ككلّ. يلعب فقدان التنوّع البيولوجيّ والتغيّر المناخيّ دوراً رئيسيّاً في هذا الإطار. ومع ذلك، أودّ أن أترك مجالاً لكفاءة باحثينا الأكثر خبرة للعمل في هذا المجال واستخراج النتائج، والمختبرات بشكلٍ عامّ مثل مختبر لرودولف ميريو LRM Rodolphe Mérieux يُشار إليه وهو مجهّز خاصّة للقيام بذلك، وأنا أشجّع أن تبدأ الدراسات حول هذا الموضوع المثير للاهتمام.

لنقل إنّ صحّة واحدة لكلّ اللبنانيين يمكن فهمها بطريقة مباشرة للغاية وهي ليست سوى مطالبة بالمساواة مع الجميع في الحصول على الرعاية وخاصّة الأدوية سواء كانت مدعومة أم لا. عميد سابق من عمداء جامعتنا يجب أن يحظى بدواء للسرطان يتمّ إيصاله فقط من خلال الوزارة، ولكن يبدو أنّ هناك رفضاً لإدراج اسمه في القائمة. هل هذه الأدوية مخصّصة لفئة معيّنة أم لكلّ اللبنانيين الذين هم بأمرّ الحاجة إليها ؟ أعتقد أنّ هذا العميد لم يتوان أبداً في دفع ضرائبه. صحيح أنّ النظام يعاني من الفقر خاصّة بعد 4 آب (أغسطس) وتعبير المرفأ وتفاقم الأزمة الماليّة والاجتماعيّة برحيل آلاف العاملين في مجال الرعاية والأطباء، وبالتالي، فشل النظام الصحيّ في تلبية المطالب بصحة أفضل للجميع ! إنّ أكثر الوسائل فعاليّة التي نسعى من خلالها في دعم النظام الصحيّ هي عيادات الإسعافات الأوليّة، وتقوية المستشفيات الخاصّة والحكوميّة في الضواحي، والتضامن الماليّ مع المرضى، والمساعدات الدوليّة في الأدوية، وولاء الطبقة الوسطى من المرضى من خلال بطاقات التأمين الصحيّ بأسعار معتدلة.

نحن أنفسنا، في مستشفى "أوتيل ديو دو فرانس" Hôtel-Dieu de France وفي شبكة المستشفى في جامعة القديس يوسف USJ/HDF ، ومن خلال جهد اجتماعي مستمرّ، ولكنّه يتضاءل يوماً بعد يوم، ننجح، إلى حدّ ما، في تقديم الرعاية من خلال استقبال المرضى الذين هم في بعض الأحيان في حالة عوز مدقع ! الصّحة المتعثّرة تحتاج إلى المال، نعم، هذا واضح، وهذا مكلف، ودراسة الطبّ مكلفة، ولكن يمكن أن توجد صّحة واحدة للجميع من خلال تفعيل رافعة ضخمة، ألا وهي الضمير الأخلاقيّ. هذا يمكن أن يساعد في الشفاء وصنع دائرة من الصّحة الواحدة للجميع !